# الباب السابع

# المرأة فى عصر المماليك

obeikandl.com

# الفصل الأول

# المرأة فى عصر المماليك

كان الرجل يقضى معظم نهاره خارج المنزل فى العمل - ثم يعود إلى المنزل آخر اليوم ويقضى بقية يومه مع زوجته.

أما الزوجة فتقضى اليوم فى المنزل وتقوم بشئونه ثم ترتدى الثياب الرقيقة المذهبة المصنوعة من الحرير الفاخر لتظهر بالمظهر اللائق أمام زوجها.

وقد أكثر فقهاء عصر المماليك من نصح النساء باستكمال زينتهن داخل المنزل وليس خارج المنزل فقط وإهمال أنفسهن داخلها أمام الأزواج.

وكان المخصص من المنزل للنساء يُسمى (الحريم) ومعناه أنه محرّم على الرجال الآخرين، ومحلل لرب البيت فقط. وهناك يجد الرجل نفسه وسط أسرته حينما يعود إلى منزله طلبا للراحة.

وكان حريم السلطان يُسمى (بالآدر الشريفة) ويحتوى على عدة قاعات. تحيط بها البساتين الفاخرة والأشجار الوارفة ومختلف الطيور والحيوانات الجميلة.

وقد خصص لكل واحدة من زوجات السلطان الأربع قلعة خاصة بها، ولا يُسمح لأى شخص الاقتراب من حريم السلطان سوى الخدم المخصصين لخدمتهن. وكذلك الشأن فى حريم الأمراء، فلم يكن أحد يجرؤ على الاقتراب منه حتى ولو كان السلطان نفسه.

وقد كان لهذا أثر واضح فى فن المعمار المصرى فى هذا العهد، فحفاظا على النساء، وحماية للحريم كان تصميم المسكن القاهرى يُراعى فيه صيانتها عن أعين الغرباء، بحيث يكون له فناء أوسط تفتح عليه النوافذ التى تُغطى المشربيات.

وكان يعتنى بداخل المنزل لتوفير الراحة للمرأة وتسليتها، فيزود المنزل بنافورة بالفناء المكشوف أو المسقوف وسلسبيل يسيل عليه الماء فيلطف الجو. كما كان يُعتنى بتجميل المنزل من الداخل وزخرفة الواجهات المطلة على الفناء الداخلى دون الواجهة الخارجية التى كان يكتفى بزخرفة مدخلها فقط فى بعض الأحيان.

أما عن مكانة المرأة فى المجتمع فيبدو أنها تمتعت فى عصر سلاطين المماليك بقسط وافر من الاحترام، سواء فى ذلك طبقة المماليك أم سائر طبقات الشعب، فقد كان المماليك ينظرون إلى نسائهم نظرة تفيض بالإجلال والاحترام والتقدير، وخصصوا لهن الألقاب مثل (خوند)، و(خاتون). وكان لقب (خوند) خاصا بزوجات السلاطين، أما لفظ (خاتون) فمعناه فى الأصل

أميرة، ثم أصبح يُستعمل لتكريم المرأة عامة مثل السيدة أو الآنسة – كما أن هناك شواهد تُثبت احترام عامة الشعب المصرى لنسائهم فى عصر سلاطين المماليك، وخير شاهد على ذلك تلك الألقاب العديدة التى أطلقها الناس على نسائهم وبناتهم مثل (ست الخلق – ست الناس – ست القضاه– ست الكل.. الخ). وذلك من باب الفخر والثناء والتعظيم.

وفى حالة تعدد الزوجات فإن الزوج يلتزم برعايتهن، ويحقق لكل منهن من الحقوق والمزايا ما يجعلها تفوق ما تتمتع به الأوروبيات من حقوق فى ذلك الوقت.

ومهما قُدرت المرأة فى عصر المماليك فى المجتمع المصرى إلا أن هذا التقدير لم يصل إلى الدرجة التى أصبحت عليها فى المجتمعات الحديثة، ويرجع ذلك إلى أن النظرة إلى المرأة قامت على أساس أن الله خلق المرأة للمتعة والقيام على خدمة الأسرة فقط.

وظهرت هذه الفكرة بوضوح فى شغف الرجال باقتناء الجوارى الحسان، ودفع الأموال الطائلة فى شرائهن، وكثيرا ما تزوج السيد جاريته إلى جانب زوجته الحرة، وفى هذه الحالة اشترط الفقهاء ضرورة عتق الجارية قبل العقد عليها.

وكانت معظم النساء يباشرن أمور الشراء من الأسواق بل غالبا ما كانت المرأة تشترى لزوجها ما يحتاج إليه من ملبس وغيره. فإذا لم يكن لهن حاجة فى السوق، فإنهن يذهبن إلى الحمامات العامة فيأنس بعضهن ببعض أو يذهبن لحفلات العرس.

وكثيرا ما خرجت النساء إلى المقابر التى أصبحت فى عهد سلاطين المماليك معظم مجتمعات أهل مصر، وأشهر منتزهاتها، حتى صار ذلك موضع استنكار من كثير من العلماء وفقهاء هذا العصر مما دعا السلاطين والأمراء والولاة إلى محاولة منع النساء من ذلك، ولكنهم لم يتمكنوا من صرف الناس عما أَلِفوه وتعودوا عليه.

وكان الحداد معروفا عند المرأة. فإذا مات أحد من الأهل أو الأقارب، فإن قريباته لا يختضبن بالحناء، ولا يلبسن الثياب الحسان، ولا يتجملن، ولا يدخلن الحمام لمدة عام. حتى إذا ما انقضت السنة بادرن إلى فعل الأشياء التى امتنعن عنها فى فترة الحداد، وسميت ذلك (فك الحزن) واجتمعن للاحتفال بذلك، كأنه فرح يتجدد.

وقد خص بعض الفقهاء والوعاظ النساء دون الرجال بعلمهم وحجتهم فى ذلك أن أزواج النساء لا يُعلمهن شيئا، ولذلك يجب إعطاؤهن عناية خاصة حتى يعرفن أحكام الدين، ويُدركن ما لهن وما عليهن من حقوق وواجبات. وإلى جانب هؤلاء الوعاظ من الرجال، ظهر عدد كبير من الواعظات اللائى تخصصن فى وعظ النساء وتعليمهن وتحفيظهن القرآن الكريم.

وقد ظهر هذا التثقيف الدينى للمرأة فى أن كثيرا من السيدات قُمن بإنشاء مؤسسات دينية كالمساجد والمدارس والأضرحة وغيرها، وبعضها لا يزال باقيا حتى اليوم.

ومن أشهر هؤلاء السيدات (شجرة الدر) التى أسست ضريحا فخما لا يزال باقيا حتى اليوم أيضا، والتى أقامت الاحتفالات بإرسال الكسوة إلى الكعبة (المحمل) وبقيت تقليدا تقوم مصر بإرساله كل عام حتى العصر الحديث.

ومن هذا يتضح أن المرأة المصرية أيام المماليك كانت فى أغلب الأحيان، زوجة صالحة، تُقيم فى الحريم ترعى أمور الزوج والأولاد. ومع هذا لم تكن معزولة تماما عن المجتمع، وبالرغم من تخلفها الثقافى وأنها لم تحصل على قسط وافر من التعليم، إلا أنها كانت تدرك أهمية التعليم فساهمت فى بناء المدارس والمساجد والتردد على سماع بعض الدروس. وبهذه الحقوق التى نالتها المرأة أيام المماليك ومن سبقهم، لفتت أنظار بعض كتّاب الغرب الذين يقرون صراحة أنها نالت من الحقوق ما لم تنله الأوربيات فى ذلك الوقت.

obeikandl.com

# الفصل الثانى
# ملابس النساء أيام المماليك

تميزت ملابس النساء فى هذه الفترة بمميزات خاصة جديدة كل الجدة على الشعب المصرى، وساعد على انتشارها عوامل عدة، طول بقاء حكم المماليك لمصر، وكثرة الزيجات التى حدثت بين المماليك المعتوقين وبين المصريات، وتقليد زى الجوارى الحسان المجلوبات مع المماليك.

ومهما قيل عن التطورات والتغييرات التى حدثت لمصر أيام المماليك، بالنسبة للابس النساء، فإنها لم تخرج عن حد الاحتشام والوقار، وستر الجسد كله، مع الاتساع المتناهى الذى ينم عن الترف والرخاء ويساعد على سهولة الحركة.

والواقع أن نساء هذا العصر بالغن فى ملابسهن سواء من ناحية الهيئة أو القيمة. وكان يقع على عاتق المرأة وحدها تصميم أزيائها وصناعتها وتطويرها، واشتهرت نساء القاهرة بتطوير الأزياء وابتكار أزياء جديدة، ما بين قصير وطويل، وما بين ضيق وفضفاض، إلى جانب الإضافات الأخرى الثانوية كالعصبات والمناديل والأوشحة وغيرها.

ويذكر المقريزى أنه فى أيام الناصر استجدت للنساء قطع جديدة مثل:

( أ ) المقنّعة – وهو منديل تضعه المرأة على رأسها وتحجب به نصف وجهها.

وربما أطلقت (المقنعة) على ما يسمى بالغفارة – وهى كما جاء فى كتاب (دوزى) خرقة تكون على رأس المرأة تقى بها الخمار من الرهن. وقد تكون اسما للمقنعة التى تُغطى بها الرأس – ويدل هذا الوصف على التشابه الكبير، بينها وبين الغفارة، وربما كانت هذه الأسماء لشىء واحد لغرض واحد، ولكن بطرق مختلفة. ويبدو ذلك بداية استعمال منديل الرأس الذى ما زال شائعا فى الريف المصرى وبعض الطبقات الشعبية بالمدن الآن.

(ب) الطرحة – التى قيل إن ثمنها كان يصل إلى عشرة آلاف دينار فى بعض الأحيان.

(جـ) الفرجيات المفتوحة – من الأمام.

والقباقيب المرصعة بالجواهر وكذلك الأحذية المطرزة من الأمام.

( د ) الأزر الحريرية التى كان ثمن الواحد منها يصل إلى ألف درهم.

وكانت هذه المبتكرات من الأزياء من الكثرة والغرابة بحيث صدرت أحيانا أوامر رسمية تمنع من استخدامها.

ومن أهم ملابس سيدات هذا العصر وأشهرها ما ذكره كثير من الكتّاب الذين تناولوا هذه الفترة بالدراسة والبحث هى:

القمصان – السراويل – والأثواب – أو السبلة – الإزار .. وغيرها..

**١ – القمصان Qumsan**

من أكثر الأجزاء تغيرا من حيث الاتساع والطول، وقد اعتادت النساء من أهل مصر بصفة عامة على ارتدائها، وكانت أطرافه تصل إلى الأرض، وله أكمام واسعة مما ساعد على رؤيته من خلال ملابسهن الخارجية.

لذلك فإننا نجد أنه فى عام ٧٥١هـ – وهو من أزهى عصور المماليك – ظهر نوع خاص من القمصان انتشرت موضته أطلق عليه اسم (بهطلة Bahtala). كان له ذيل طويل ينسدل على الأرض، كما له أكمام واسعة تبلغ فى اتساعها ثلاثة أذرع، وقد أصدر (الأمير منجك) فى هذا الوقت أمره بقص الأكمام، وأودع فى السجن عددا من النسوة اللائى لم يمتثلن لهذا الأمر. ولكن لم يستمر ذلك الأمر طويلا. ثم عاد مرة أخرى فى الظهور وأخذ فى الاتساع. فأصدر الأمير (كمشبغا) مرسوما سنة ٧٩٣هـ عندما كان نائبا عن السلطان فى مصر، يقضى بتحريم ارتداء القمصان التى يزيد اتساع الكم عن ذراع واحد. وأذيع هذا المرسوم على الملأ فى القاهرة وضواحيها، وقد أعطى المماليك والغلمان حق التجول فى الأسواق على الملأ فى القاهرة وضواحيها وتنفيذ هذه الأوامر بالقوة، وأخذوا يقطعون الأكمام المتسعة أكثر مما يلزم بالسكاكين. (فقد حدث أن استخدم اثنان وتسعون ذراعا من القماش لعمل قميص واحد).

وبعد ذلك صُنِعت قمصان أخرى أطلق عليها (القمصان الكمشبغارية) – تميزت بأنها ذات أكمام كالتى ترتديها البدويات.

وفى القرن الرابع عشر الميلادى أصبح القميص قصيرا يصل إلى الركبتين فقط، وهو الذى ينبغى أن يكون طويلا عملا بالأحكام الدينية.

وبذلك أخذ اتساع الأكمام فى التغير المستمر، وكذلك طول القميص.

وكانت كلما استخدمت موضة تصرفت كل النساء تبعا لها. وفق النظام الذى نعرفه اليوم، وهو أن كل طبقة فى المجتمع مولعة دائما بتقليد من يعلوها من الطبقات. وقد شهد (المقريزى) (المقريزى هو أحمد بن عبد القادر أبو العباس الحسينى العبيدى تقى الدين المقريزى، مؤرخ

الديار المصرية – أصله من بعلبك، ولد ونشأ ومات بالقاهرة. ومن مؤلفاته: الواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ويُعرف بخطط المقريزى)، شهد أكثر من مرة بأن ما فعلته عامة نساء عصره فى الملبس، إنما كان من باب التشبه بما فعلته نساء السلاطين والأمراء.

**٢ – السراويل Sarâwil أو المئزر**

ارتدت السيدة (المئزر) بجانب القمصان، وهو نوع من السراويل يُرتدى تحت الملابس يستر الجزء الأسفل من الجسم، ويصل إلى الركبتين، ومن المحتمل أن يطابق فى طريقة تفصيله وفى تسميته لما كان يلبسه الرجال، وكانت فى الغالب بيضاء. وقيل عن المرأة القاهرية (إن النساء يلبسن سراويل من الجلد المزين بأشغال «التخريم»).

كذلك كانت توجد السراويل الطويلة، وكانت فى الغالب حمراء، وتلبس فوق الألبسة البيضاء، وهو لباس ذو أرجل طويلة تثبت نهايتها عند الركبة بحيث يتدلى الفائض من القماش حتى يصل إلى القدم تقريبا.

وبذلك كان هناك سروال داخلى من اللون الأبيض وخارجى طويل وواسع من ألوان مختلفة، دون أن يكون مقصورا على اللون الأحمر فقط.

وقد كانت النساء عموما يلبسن السراويل بسبب حث الإسلام على لبسها، إذ ورد فى بعض أحاديث الرسول ﷺ (يرحم الله المتسرولات من النساء).

وارتدت النساء السراويل الطويلة أيضا، وكانت تثبت فى الجسم بواسطة ربطها برباط نفيس يطلق عليه اسم (تكة Tikka)، وهى رباط السروال وكانت غالية الثمن وخاصة عند الأغنياء.. كما أنها عبارة عن حزام من الحرير يُحيط به الرجال والنساء وسطهم وكانت تستخدم لضم السراويل عند وسطهم، وكانت تظهر أحيانا من تحت الملابس إذا كانت مفتوحة، أما إذا كانت مقفولة فإنها تختفى غالبا.

(وتكة أو دكة) هى الكلمة العربية الوحيدة التى تشير إلى هذه الأحزمة، وقد استخدمت منذ القدم، فقد ذكر السيوطى أن قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون زُفّت من مصر إلى الخليفة المعتضد ونقل أبوها فى جهازها ما لم ير مثله، كانت فى جملتها ألف (تكة) مجوهرة.

كما ذكرها المقريزى، وقال: إن أغنياء القوم كانوا يتركون (تككا) وكانت تصل أحيانا إلى ألف تكّة من الحرير الأرمنى، ويُقال إن قوائم أجهزة العرائس فى عهد المماليك لم تُشر إلى السراويل أو أربطتها الفاخرة.

وفى بعض الفترات المتأخرة خلال العصر كانت الكلمة الدارجة التى تطلق على السراويل هى كلمة (لباس Libäs )، فإن هذه التسمية تعطى دليلا على أن هذه الملابس كان على مستوى شعبى فى هذا الوقت.

وهذا النوع من الملابس يعود إلى أيام المماليك الأوائل فى عهد السلطانة المملوكية (شجرة الدر) التى تم قتلها بواسطة جوارى الحريم بقصرها، وألقيت جثتها بعد ذلك فى حمامها (ويُقال فى حفرة) حيث عُثر عليها بدون شىء يسترها سوى قميص وسروال.

### ٣ - الثوب "Thoub"

يُلبس الثوب فوق الملابس التحتانية، ويُعتبر أكثر جزء مألوف من الملابس عند الشابات. وقد استخدمن القمصان القصيرة والسراويل كملابس داخلية وفوقها الثوب. وقد لوحظ أن كلمة ثوب "Thoub" كانت تطلق أحيانا على القمصان ذات الجونلة الطويلة التى تصل إلى القدم، وأنها بذلك موافقة على الشريعة الإسلامية التى تُحتم أن تكون الملابس طويلة.

### ٤ - الإزار - (السبلة) Izar

يطلق عليه فى بعض المراجع (السبلة) وهى البداية الأولى المستحدثة للملابس الخروج (التزييرة) وهى الملابس الخاصة للخروج عند المرأة المصرية. وكذلك يطلق عليها أيضا فى بعض المراجع (إزار أو إيزار) وهو رداء واسع تلتف فيه المرأة، ويُغطى كل ملابسها وقد كانت النساء تلبسنه عموما، وكان لونه أسود بالنسبة للسيدة المتزوجة، أما السبلة البيضاء فترتديها الآنسات. بينما بالنسبة لأهل الذمة كان لزاما عليهن ارتداء (أزُر) ذات ألوان مميزة، فكانت النساء المسيحيات يلبسن اللون الأزرق، واليهوديات اللون الأصفر، والسامريات اللون الأحمر. ويُشد حوله (زناره) وهو رباط حول الثوب.

وكان الأطفال من صبيان وبنات يرتدون ملابس تماثل فى تفصيلها ملابس الكبار، فيما عدا الفتيات اللائى كن يلبسن بدلا من الحجاب (الطواقى والكوافى) التى كان لها سوق خاصة فى القاهرة يُطلق عليه اسم (سوق البخانيقيين).

كما فرق بين رجال المسلمين وغيرهم فى لون العمامة وذكر (دوزى Dozy) أن الإزار هو ما يوضع على الرأس ويُصنع من عدة ألوان، وأحيانا من الحرير المزركش بالذهب، وهو غير النقاب حيث يُقال (كشفت نقابها عن وجهها)، وخلعت إزارها، كما كان يسمى (مئزر) منذ القدم، وكان يلبسه الرجال والنساء.

وفى وصف لابن إياس عن السلطان (كان السلطان لابسا جبة صوف أبيض وعلى رأسه مئزر أبيض ملفوف على شكل عمامة صغيرة بعذبة مرخاة.

ومن هذا يمكن أن نستنتج أن الإزار أو المئزر كان يطلق على قطعة قماش غير مخيط تُلف أحيانا على الرأس على هيئة عمامة، وأحيانا أخرى على الجسم كله لتغطيه، أو لتغطى الجزء الأسفل منه كما يفعل الحجاج من الرجال.

ولم يكن الإزار وهو الغطاء الشامل للجسد يُعتبر عائقا بالنسبة لتقدم (الموضة) إذ بالرغم من ذلك أخذت التصميمات فى التطور، ومع ذلك أغضبت رجال القضاء ورجال الشرطة. وقد احتج (محمد بن محمد العبدون) الذى عاش فى مصر فى أوائل القرن الرابع عشر، على ملابس النساء القصيرة جدا والضيقة الواضحة التى تظهر تفاصيل الجسم، واشتكى من أن السراويل الطويلة كانت تُلبس ويسترخى رباطها إلى ما تحت الخصر بدلا من أن تبدأ من فوقه حسب ما نص عليه القانون.

### ٥ - غطاء الرأس والعصابة

( أ ) كانت النساء يحرصن عند خروجهن إلى استخدام غطاء الرأس، وهو عبارة عن قطعة من الشاش يُطلق عليها اسم (العصابة) تلف كالعمامة حول جزء من الإزار يغطى الشعر - ويكون أولها عند جبينها وآخرها عند ظهرها - ومن المحتمل أنها تشبه تلك التى تستعملها البدويات فى وقتنا الحالى، إلا أنه كانت تزينها أحيانا زخارف غنية جميلة مطرزة ومحلاة بالأحجار الكريمة.

(ب) أما عمائم النساء فكانت مثار نقد وجدل شديدين، هاجمها رجال الدين. كما اضطر السلاطين إلى المناداة بأن المرأة لا تتعمم بعمامة ولا تلبس الطواقى ولا تتزى بزى الرجال، ومن فعلت ذلك بعد ثلاثة أيام سلب ما عليها من الكسوة.

(جـ) وفى خلال النصف الثانى من القرن الخامس عشر، وبداية القرن التاسع الهجرى، اختفى هذا الزى القبيح، وحل محله (طرطور) طويل يُغطيه إزار فوقانى يُستخدم كلباس للرأس خاص بسيدات المماليك حسبما جاء فى وصف (هارف) "Arnold V. Harff" - تلبس النساء شيئا طويلا فوق رؤوسهن على هيئة الكأس الكبير ملفوفا بقماش ثمين فخم مزين بزخارف.

( د ) وفى سنة ٨٣٠هـ، عُيّن ناصر الدين بن شبل محتسبا للقاهرة، ومديرا للشرطة، فأصدر أمرا بمنع النساء من ارتداء (الطواقى).

وقد كان ارتفاع هذه الطواقى فى باكورة القرن التاسع الهجرى – نحو ثلثى ذراع، ولها قمم على شكل القباب، محشوة بالورق ومنمقة بالحرير، ومزينة بفراء القندس باتساع تُمْن الذراع تقريبا. وفى خلال عصر المماليك الجراكسة كانت النساء ترتدين الطواقى المزينة بزخارف فخمة من الذهب والفضة.

(هـ) ومن أغطية الرأس التى استخدمت فى هذا العصر ما يسمى (بالطيلسان) وهو نوع من الطرح البسيطة التى توضع على الرأس أو على الأكتاف بمفردها، وهى تعتبر البداية للبس الطرحة، وقد لبسها كل من الرجال (حول العمامة) والنساء، وغالبا ما كان يُصنع من التيل الرقيق.

من هذا ندرك مدى اهتمام المرأة فى هذا العصر بغطاء رأسها سواء كان طاقية أم عصابة، وكان الرجال يُقدرون ذلك فاهتموا بوضع هداياهم فيها لزيادة قيمتها، ورفع شأنها، كما تَفَنَّنت المرأة فى تزيينها بمختلف وسائل الحلى والزينة.

### ٦ – النقاب

كانت النساء يسرن محجبات، وكانت توجد أشكال متنوعة من الحجب وهى (المقنعة، والقناع، والنقاب)، وكانت غالبا من الأنماط الآتية:

( أ ) قناع شبكى أسود يُغطى الوجه كله.

(ب) قناع مثل القناع الأول، ولكن به فتحتان للعينين – وقد أطلق عليه دوزى تعبير (النقاب) وكانت السيدات يُنقبن بالنقب الملونة.

(جـ) قناع للوجة أبيض أو أسود يطلق عليه اسم (برقع) يُغطى الوجه إلى ما تحت العينين. وظهور المرأة بدون قناع بين الجمهور دليل على فقرها، كما يثير كثيرا من علامات الاشمئزاز. ومن المحتمل أن تظهر الراقصات والمغنيات كاشفات الوجوه.

وكان البرقع – كما ذكره مؤرخو العرب فى القرون الوسطى – قطعة من القماش الخفيف، وعلى أنه من بعض أنواع الطرح، وكان منتشرا إلى عهد قريب.

وقد أطلق عليه اسم (اليشمك) وهو قطعة من الحرير أو القطن الأسود يُغطى الوجه من تحت العينين، وينسدل أحيانا حتى الركبة.

### ٧ – الأحذية

كانت أحذية النساء مطابقة فى أشكالها وخفة وزنها وفخامتها لأحذية الرجال، التى يُطلق عليها اسم (الخف). وهى تصنع عادة من جلد ملون، وكان يُلبس فوقها حذاء يسمى

(سرموزة Sarmûza) – وهى أصلا كلمة فارسية تطلق على (الطزلق) ويلبس على الخف ومعناها رأس الخف: سر – رأس – موزا – خف، أى أنه يطلق على الحذاء بدون نعل، وكانت تسمى (جرموق) أو (زرموزة) أو (سرموج).

وكان الخف يخلع عند دخول المنزل، وكانت جميع الأنواع الثلاثة تباع فى سوق خاصة فى القاهرة يُطلق عليها (سوق الاخفافيين)، أنشئت بعد سنة ٧٨٠هـ بقليل.

وكان يوجد (خف) يلبس أيضا فى الشوارع يطلق عليه اسم (مداس) "Madas"، وهو ذو الكعب المثنى أو المركوب.

**القباقيب :**

تعتبر القباقيب نوعًا من المداسات التى تستعملها نساء المماليك.. تصنع من الخشب وأحيانا تكون غنيّة بالزخارف. وقد قام هذا النوع بدور محزن فى تاريخ نساء المماليك. وأول هذه الحوادث حينما ضُربت الملكة شجرة الدر بالقباقيب حتى الموت.

وهناك (التاسومة) أو (التاسوم) التى تشبه النعل، وكانت تصنع من الليف، وأحيانا من سعف النخل.

**٨ – الحلى**

كانت الحلى فى العصر الإسلامى متأثرة فى طراز زخارفها وصناعتها بالنماذج الساسانية (الإيرانية) والبيزنطية، وقد استخدم الذهب والفضة فى صناعة أنواع شتى من الحلى والمصوغات كالأقراط والأساور والقلائد والخواتم.

والواقع أن شكل هذه الحلى ليس مثالا للرقة وحسن الذوق فحسب، بل إن زخارفه المشبكة والمفرغة (الشفتشى) والبارزة، وذات الخروم كلها دقيقة وجميلة. وتُكوّن الأسلاك الذهبية الممتدة والمجدولة أشكالا هندسية مفرغة.

وكانت الطريقة المعروفة فى العصرين الفاطمى والأيوبى طريقة تركيب المينا ذات الفصوص، وفيها تصب المينا فى حواجز ذهبية رقيقة تُلصق على المعدن.

وقد ذكر المؤرخون مثلا أنه استجد فى عصر الناصر محمد اتخاذ النساء للخلاخيل من الذهب، والأطواق المرصعة بالجواهر الثمينة، بالإضافة إلى ما كنّ يعرفنه من عقود وقلائد وأساور ودلايات وأقراط وخواتم وغيرها.

وكان من الطبيعى إزاء ما كان للحلى من قيمة مادية، أن يفكر القوم فى طريقة للمحافظة عليها، فشاع استعمال علب خاصة لهذا الغرض، وكانت هذه العُلب تصنع إما من العاج أو من الخشب المطعم بالعاج والصدف، وعرفت هذه العُلب (بالشكمجيات) ونالت كثيرا من عناية الصناع واهتمامهم، وذلك لشدة اهتمام المرأة بحليها والمحافظة عليها.. وذلك مما يدل على القيمة المادية وغلو ثمنها.

ونظرا للقيمة الغالية لهذه المواد التى تصنع منها الحلى والمصوغات كالذهب والفضة والماس وغيرها، عُنيت الدولة بمراقبة صناعتها وإسناد ذلك إلى موظف يسمى (المحسب) أو (والى الحسبة) مهمته مراقبة الصاغة بدقة حتى لا يقل أو يزيد الميزان.

obeikandl.com

# الفصل الثالث

## أثر الفتح العثمانى فى ملابس المرأة

لقد كان للطراز المملوكى فى الثياب أصوله وتقاليده التى استمرت حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر، مما لا يزال له بعض الأثر فى ملابس المرأة المصرية، لاسيما فى بعض الأقاليم، كالملس الشعبى الذى لا يزال شائعا فى بعض قرى الريف.

ولكننا نلمس فيه على أية حال فى مظهره العام استمرارا للطراز القديم فى الثياب المتناهية فى السعة.

وقد عُنى الناس أيام المماليك بأناقة المظهر، فجملوا ملابسهم بالكى حتى حرص بعض الأثرياء على الاحتفاظ فى بيوتهم بعمال متخصصين لكى ملابسهم. كذلك بالغوا فى استعمال الذهب فى زينتهم لاسيما لبس الخواتم فى أصابع الأيدى.

أما حفلات العرس، فكانت العروس تتصدر الحفل وهى فى أكمل زينتها وبهائها، إذ يقوم بعض أهلها بتجميلها وتمشيطها، وإظهارها فى أحسن صورة، ثم إلباسها. وكانت تستكمل بأن تضع على رأسها ما يسمى (بالشربوش) مبالغة فى الفرحة، واستكمالا للزينة. وذلك لاهتمامها بكل ما يوضع على الرأس، إذ إن جمالها وزينتها من أهم الأشياء التى تضفى على صاحبتها الجمال.

وظلت هذه الملابس مدة طويلة بين التقييد الطفيف أو الكثير، تبعا لأذواق السيدات، وتبعا للحالة الاقتصادية للبلاد وتبعا كذلك لما كان يجلب منها من خارج القطر المصرى، حتى جاء الفتح العثمانى ومعه أنماط جديدة أخذت منها المرأة المصرية بعضها وأضافتها إلى ما اعتادت عليه، فبدأت ملامح جديدة للملابس المصرية فى أواخر القرن الثامن عشر.

وكان الحكم العثمانى فى مصر الذى استمر حوالى ثلاثة قرون امتدادا لحكم المماليك، حيث بقى لهم سلطانهم ومكانتهم فى البلاد إلى جانب الوالى التركى الذى كان يُعينه الباب العالى.

إلا أنه مع هذا فكثيرا ما كان يحضر إلى مصر بعض العثمانيين الذين يكلفون بالعمل، أو يحضرون للإقامة بعض الوقت، وغالبا ما كانوا يصطحبون معهم زوجاتهم وعائلاتهم. كما كان يتزوج بعض المصريين من عثمانيات أو يتزوج بعض العثمانيين من مصريات.

ولا شك أن هذا كان ذا أثر ولو بصورة محدودة فى الملابس والأزياء، ولو من تقليد المغلوبين للغالبين.

كما أن الخياطين من اليونان والأرمن المقيمين فى مصر، كانوا يهتمون بخياطة ملابس المصريين الذين كانوا يتعاملون مع هؤلاء الخياطين، وملابس العثمانيين. ونتج عن ذلك تطور بسيط فى الملابس المصرية التى كانت موجودة فعلا، وبدأت تأخذ شكل الملابس التركية. كما بدأت تنقل بعض ملابس الأتراك ومنسوجاتهم لتستعمل فى مصر.

وكان فوق اليلك (الحزام) حيث يُثبت فيه الطرفان المرفوعان من اليلك ويظهر الحزام بوضوح.

أما القباء فقد أستُبدلت به الجبّة المفتوحة من الأمام، ذات الأكمام الضيقة الطويلة أحيانا، والقصيرة أحيانا أخرى.

وقد زادت العناية بأغطية الرأس وتجميلها والتفنن فى تزيينها، فقد عملت الطواقى الجميلة ذات الأقراص الذهبية، ولفت حولها العصائب، وألقيت عليها الطرح الجميلة المزخرفة والمطرزة.

وهو امتداد لما كان مستعملا فى عصر المماليك مع تطويره بعض الشىء، فلم تكن الأقراص الذهبية للطواقى مما استعمل فى عصر المماليك.

كذلك استمر لبس القباقيب للحمام وداخل المنزل، أما فى الخارج فقد استمر لبس الخف والنعل.

وبقيت ملابس الخروج محتفظة بطابعها من الحشمة، والحرص على الوقار، وإن كانت بعض القطع الجديدة بدأت تظهر مثل الحبرة، واليشمك الذى تلبسه السيدة.

ولعل مما ساعد على هذا التطور، أن الإزار أو ما أطلقوا عليه (السبلة) فى بعض الأحيان قد لوّن بعض الشىء، وعملت له فتحة للرقبة وارتدته السيدة فوق الملابس الأخرى لتسترها، ثم لُبست الحبرة السوداء مع البرقع. وبذلك اختفى الجسم كله، وأصبحت تلك القطع الثلاث هى الخاصة بالخروج والتى تسمى (التزييرة).

أما السيدات العثمانيات، فقد احتفظن بكثير من تقاليدهن فى أزيائهن وخاصة فى ملابس الخروج التى كانت عبارة عن اليشمك الأبيض الشفاف الذى يُلف على الرأس ويُغطى نصف الوجه الأسفل وينسدل على الصدر، ويُغطى باقى الجسم رداء واسع أسود يُغطى الظهر، ويُفتح من الأمام، وتضمه السيدة بيديها عند الوسط. وهذا الثوب أقرب ما يكون إلى ما أطلق عليه

(دوزى) فى قاموسه (الإتب أو المئتبة) وهو الثـوب الذى يُشق فتلبسـه المـرأة مـن غـير جيـب ولا كمين. وهذا بالطبع لبُس فوق الثوب الأسفل القاتم ذى الأكمام الواسعة، بحيث لا يظهر أى شىء من جسم السيدة. وهذا ما كان متبعا فى مصر، من لبس الثوب وفوقه الإزار والقناع.

ولقد قلدت المصريات بعضا من تلك الملابس فى أزيائها، وسيظهر ذلك عند التحدث بوضوح عند شرح ملابس المرأة أيام الحملة الفرنسية، سـواء كـانت الملابـس خاصـة بـالمنزل، أم كـانت ملابس الخروج والتى تتميز بالطابع المصرى الفريد، الذى يمكن أن يُؤخذ منه الكثير، مع بعض التطوير، بما يتناسب مع الظروف الحاضرة والظروف الاجتماعية والاقتصادية حتى يصل بعض المصممين إلى الحصول على زى قومى مُتميز نُعرف به فى مختلف الأوساط والبيئات.



obeikandl.com